
المكتبة القبطية على الانترنت
زيارة الموقع

ديـــر القديس أنبا مقار
برية شيهيت

التجسد الإلهي

في تعليم

القديس كيرلس الكبير

مع عظة عن الميلاد
للأب متى المسكين

الكتاب: التجسد الإلهي للقديس كيرلس الكبير
مع عظة الميلاد ١٩٧٨

المؤلف: الأب متى المسكين

الطبعة الأولى: يناير ١٩٧٨

الطبعة الثانية: يناير ١٩٨٨

المطبعة: دير القديس أنبا مقار ـــ وادي النطرون

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٧٨٩٩ / ٨٧

ويُدعى اسمه عمانوئيل
الذي تفسيره « الله معنا »

■○■○■

عندما **عجز الإنسان أن يحيا مع الله**، إذ عجز عن حفظ الوصية وسقط في المخالفة والتعدي، وطُرح خارجاً عن حضرة الله، **تنازل الله في ملء الدهور وجاء إلينا ليحيا معنا**.

هذا هو التجسد وهذا هو ميلاد المسيح « **عمانوئيل** » الذي تفسيره الله معنا.

من الموت والظلمة إلى الحياة والنور:

نحن نعلم أنه قد حُكم على الإنسان بالموت إزاء التعدي، وهكذا دخل الموت إلى العالم وساد الموت وسادت الظلمة على عقل الإنسان وقلبه، كما نعلم تماماً أنه بميلاد المسيح قد وهب الله الحياة الأبدية مرة أخرى للإنسان عوض الموت، ودخلت الحياة الأبدية وأشرق نور الله على العالم مرة أخرى في شخص المسيح ليضيء للإنسان من داخله، وفي عقله وقلبه، طريق الحياة والخلود.

رحلة الآلام لبني الإنسان ٥٥٠٠ سنة:

ولكن كانت رحلة الإنسان من الحكم بالموت على آدم إلى هبة الحياة بميلاد رب الحياة، ومن ظلمة العصيان لوصايا الله التي تردى فيها آدم رأس الجنس البشري إلى نور الطاعة التي قدّمها الإبن الوحيد للآب عنا كابن الإنسان، رحلة طويلة جداً بحسب الزمن، وشاقة أقصى ما يكون الشقاء على مستوى المعاناة والآلام والدموع عبر الأجيال والدهور، ولكن لم تكن هذه الرحلة المضنية كأنها بلا حدود، بل كان طولها الزمني

محسوباً لدى الله بالأيام والساعات وعمقها المأساوي كان محسوساً ومدركاً لدى الله ، بل وكان الله مشاركاً للإنسان في كل ما عاناه وتضايق به حسب إعلان الله الصريح : « في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم . » (إش ٦٣ : ٩)

ومضات من النور عبر ظلام الدهور:

لذلك أصبح من أنسب الأمور لبناء إيماننا الجديد وعلاقتنا الجديدة بالله ، أن نتأمل وندرس ونكرر الدراسة كل يوم في مراحل رحلة بؤس الإنسان وشقائه هذا ، عبر المراحل المتعددة التي مر بها الإنسان ، حتى استقرت به المسيرة أخيراً في بيت لحم .

بل وأصبح من المحتم لكي نستقبل خبر ميلاد المسيح في حدود حجمه الحقيقي ونمتلىء بكل ملئه الإلهي الذي يخصنا منه ، وليكون لنا الحق والقوة في إعطاء المجد الحقيقي لله مع الملائكة في الأعالي في هذا اليوم ، ويحل السلام والمسرة في كياننا الروحي كل أيام حياتنا ، علينا أن نعبر عبوراً سريعاً على مراحل هذه الرحلة الطويلة الشاقة المضنية منذ أن صدر الحكم الإلهي بالموت على آدم وكل بشر ، إلى أن صدرت البشارة بميلاد الحياة الأبدية للإنسان في شخص يسوع المسيح في بيت لحم : وإليك أيها القارىء العزيز هذه النصوص على التوالي :

١ ــ الآن نحن في سنة ٥٥٠٠ ق . م . :

- « فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر . فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل . فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر... » (تك ٣ : ٦ و٧)
- « فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت . فقال : مَن أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها . فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلتِ ؟ فقالت المرأة : الحية غرتني

فأكلت . فقال الرب الإله للحية : لأنك فعلت هذا ملعونة أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك . وأضع عداوة بينك و بين المرأة و بين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه .

وقال للمرأة : تكثيراً أكثّر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولاداً . وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك .

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . شوكاً وحسكاً تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود . » (تك٣ : ٩ــ١٩)

- « فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها . فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . » (تك٣ : ٢٣و٢٤)

هذه أيها الأحباء مأساة السقوط من النعيم ، من الحياة الأبدية والطرد من أمام وجه الله والنزول إلى مستوى التراب واللعنة والعناء والموت . هذا كان ثمن عصيان الله .

ثم جاءت أول إشارة للإنسان في شخص إبراهيم بالرجاء للخروج من ظلمة اللعنة إلى البركة ومن البعد عن الله إلى القرب منه هكذا :

° ° °

٢ ــ الآن نحن في سنة ٢٠٠٠ ق . م . :
وهو زمن دعوة إبراهيم للرحيل من أور الكلدانيين :

- « وقال الرب لأبرآم : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أُريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظّم اسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض . » (تك١٢ : ١ــ٣)

- « ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها . وقال له : هكذا يكون نسلك . فآمن بالرب فحسبه له براً . » (تك١٥ : ٥و٦)

° ° °

٣ ــ الآن نحن في سنة ٧٩٠ ق . م . وهو زمن مملكة عزيا الملك :

ثم جاء من وراء الدهور أول وعد صريح بميلاد المخلص والفادي :

- « لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابناً ، وتكون الرياسة على كتفه ، و يدعى اسمه عجيباً ، مشيراً ، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً رئيس السلام ، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ، ليثبّتها و يعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد . غيرة رب الجنود تصنع هذا . » (إش٩ : ٦و٧)

- « ويخرج قضيب من جذع يسى و ينبت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب . ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه . بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ، و يضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه . و يكون البرُّ مِنطقة متْنيه ، والأمانة مِنطقة حقو يه . » (إش١١ : ١ــ٥)

- « عزُّوا عزُّوا شعبي ، يقول إلهكم . طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل ، أن إثمها قد عُفِي عنه ، أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها .
صوتُ صارخٍ في البرية أعدوا طريق الرب . قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا . كل وطأ يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض و يصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً . فيُعلَن مجد الرب و يراه كل بشر معاً لأن فم الرب تكلَّم . » (إش ٤٠ : ١ــ٥)

° ° °

٤ ــ الآن نحن في سنة ٥ ق. م. :

ثم أخيراً وفي ملء الزمان يكمل الوعد وتعطى إشارة البدء :

• « وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة . إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف . واسم العذراء مريم . فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيتها الممتلئة نعمة . الرب معك . مباركة أنت في النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية .

فقال لها الملاك : لا تخافي يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله .

وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى و يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية .

فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً .

فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللكِ ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يدعى ابن الله . » (إنجيل لوقا ١ : ٢٦ــ٣٥)

° ° °

٥ ــ الآن نحن في سنة ٤ ق. م. (*) « بحسب التقويم الحالي »

الميلاد العجيب : من الناصرة إلى بيت لحم :

• « فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تُدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته . ليكتتب مع مريم ، امرأته المخطوبة وهي حبلى . و بينما هما هناك تمت أيامها لتلد . فولدت ابنها البكر وقمّطته وأضجعته في المذود ، إذ لم يكن لهما موضع في المنزل . » (إنجيل لوقا ٢ : ٤ــ٧)

والسماء أيضاً تعلن الخبر السار وتميط اللثام عن سر راعي الرعاة الأعظم ، سر الدهور كلها بتهليل سمائي :

(*) بحسب التقويم الحالي كان ميلاد المسيح متقدماً أربعة سنوات عن السنة المعتبرة لدى الفلكيين أنها سنة ١ ميلادية .

٥ « وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم . وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً . فقال لهم الملاك : لا تخافوا . فها أنا أبشِّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلِّص هو المسيح الرب . وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمَّطاً مضجعاً في مذود . وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبِّحين الله وقائلين : المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام و بالناس المسرة . » (إنجيل لوقا ٢ : ٨ــ١٤)

إعلان الخبر في الأوساط الملكية واستقبال المخلّص كملك حقيقي وتقديم الهدايا الملكية :

٥ « ولما وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك ، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود . فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له .

فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه . فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم : أين يولَد المسيح ؟ فقالوا له : في بيت لحم اليهودية . لأنه هكذا مكتوب بالنبي . وأنتِ يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منكِ يخرج مدبِّر يرعى شعبي إسرائيل .

حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر . ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال : اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي . ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له .

فلما سمعوا من الملك ذهبوا ، وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي . فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً . وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه . فخروا وسجدوا له . ثم فتحوا كنوزهم وقدَّموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً . ثم إذ أوحي إليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورتهم . » (إنجيل متى ٢ : ١ــ١٢)

٥ ٥ ٥

٦ ـ الآن نحن في سنة ٩٥ ميلادية وهو زمن تدوين إنجيل يوحنا :

وأخيراً منح الله للإنسان ممثلاً في يوحنا الرسول الإلهام الإلهي الفائق لإدراك سر المسيح الأزلي ، سر الخلاص « بالكلمة » الذي كان مخفياً عند الآب ، وانفتاح البصيرة لتقبل النور الحقيقي الآتي إلى ظلمة العالم العقلية ليقهرها وليبددها ، فيدخل المسيح إلى العالم عَبْر الإيمان كنور حقيقي ليهب الإنسان بدء الحياة ، في سر لا يُدرَك ، لرحلة الخلود والعودة إلى الله .

- « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان و بغيره لم يكن شيء مما كان . فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس . والنور يضيء في الظلمة ، والظلمة لم تدركه .

كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور ليؤمن الكل بواسطته . لم يكن هو النور بل ليشهد للنور . كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم . كان في العالم ، وكوّن العالم به ، ولم يعرفه العالم . إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله . وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أي المؤمنون باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل ، بل من الله .

والكلمة صار جسداً وحل فينا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً . » (إنجيل يوحنا ١ : ١ ـ ١٤)

° ° °

من الإحساس بالهجران إلى حياة العشرة غير المنفصلة :

وهكذا انتهى في هذا اليوم الخالد ، المعبَّر عنه بـ« آخر الأيام » ، كل أحزان الإنسان السالفة وشقائه على مدى الدهور كلها ، الناتجة عن عمق إحساسه بهجران الله ، بسبب العداوة الكائنة في صميم كيانه البشري من نحو الله من جراء ناموس الخطية الذي سكن جسد الإنسان وتملّكه واستعبده ، ليصنع ما لا يريد وضد كل ما هو صالح .

ولكن يا لسعادة الإنسان ، فهوذا الله يأتي إلينا بنفسه . لأنه حينما خُلق الإنسان ودُعي للوجود في حضرة الله للحياة ، في نوره ومجده ؛ كان مهدَّداً بالإنطراح خارجاً حيث الظلمة والموت إن هو تعدى وصية الحياة . وها هوذا تعدى وانطرح خارجاً وعاش في الظلمة وعايشها وذاق في البعد عن الله الموت والذل والهوان .

أما الآن فهوذا الله نفسه يأتي إلينا يعاشرنا و يتودَّدنا و يلبس أضعف ما فينا وهو جسدنا ، لقد انعكس الوضع تماماً ، لم نعد مهدَّدين بالخروج من حضرته أبداً و بأي حال من الأحوال ، فهو نفسه الذي أتى إلينا راضياً بنا ونحن في حضيض موتنا وذلنا وخطايانا ، لا لكي يعيش معنا كصديق مع صديق ، كما كان آدم مع الله ، بل جاء راضياً أن يحمل ثقل بشريتنا فيه ، وقد اتَّحد بلحمنا وعظامنا ، فصار منا وصرنا منه ، يحيا فينا ونحن نحيا فيه . لا نستطيع أن نخرج عنه إذ قد وُلدنا منه ، وصرنا « من لحمه وعظامه » (أف ٥ : ٣٠) ، وارثين فيه ومعه ، ولا هو يستطيع أن يتخلى عنا ، فقد رفع بشريتنا معه إلى السماء ، وسكب روحه القدوس في قلوبنا لكي نحيا ، لا بأرواحنا فيما بعد ، بل نحيا بروحه ، أو بالحري بينما يحيا هو فينا هنا على الأرض يجلس بجسدنا عن يمين العظمة في الأعالي شفيعاً وضامناً لخلاصنا إلى الأبد .

إذن فحياة الإنسان مع الله انقلبت فصارت في واقعها حياة الله مع الإنسان ، وهذا هو الضمان العجيب الذي ضمنه لنا المسيح بتجسده .

كل هذا ياأحبائي عبرتُ عليه على مستوى النظر ، أو بمفهوم الفكر اللاهوتي من صميم الواقع الإنجيلي ، والآن علينا أن ندخل في هذا النظر الموضوعي ، أو بالحري نعيش هذا الواقع الإنجيلي في حياتنا لحظة بلحظة .

فما هو معنى « الله معنا » في حياتنا اليومية ، لأنه إن لم نكن فعلاً نعيش و « الله معنا » يومياً ، إذن فما هي قيمة التجسد والميلاد ؟ علماً بأن جوهر التجسد والميلاد كما عرفنا هو « عمانوئيل » أي الله معنا ؟

خداع البصر:

« إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد . »
(١ كو١٥: ٥٠)

كثيراً ما نقع في خداع البصر أو خداع الفكر أنه بهذا الجسد الترابي نتصور أننا نعاين الملكوت ، فنحاول أن نطوع اللحم والدم لمتطلبات الحياة الأبدية ، فإذا كان هذا صحيحاً أو ممكناً ، فلماذا إذن الولادة الجديدة من الماء والروح التي هي الحصيلة النهائية للتجسد والفداء ؟ ولماذا أصر المسيح أنه إذا لم يولد الإنسان ميلاداً ثانياً فلن يستطيع أن يرى ملكوت الله ؟ والمولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح ؟

إذن ، فليكن معلوماً بكل يقين أن دعوتنا للحياة مع الله ، أو بالحري حياة الله معنا وفينا ، هي بالروح وليست بالجسد . الجسد تراب وإلى التراب يعود . الجسد نهايته الحتمية في القبر ولا رجاء قط في كل أعماله التي هي في نظر الروح كخرقة مدنسة ، ولا رجاء قط في قوته وجماله أو صحته وجلاله ، وكل اجتهاد للحفاظ على شبابه هو لهو وعبث وجهد ضائع . فالشيخوخة متربصة به ، والأمراض والخطيئة حليفه على طول الطريق .

ولكن بالرغم من أن الجسد مدعو للقيامة ليكون في الدهر الآتي شريكاً هو الآخر في مجد المسيح ، آخذاً بقوة القيامة صورة خالقه وبهاءه : « لأنه سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (في٣: ٢١) ؛ أقول ، وبالرغم من هذا الوعد اليقيني ، إلاَّ أنه فيما يخص هذا الدهر فلا رجاء لنا في أجسادنا الترابية ولا طائل من ورائها ، فالقوة الإلهية والمجد والكرامة والحياة الأبدية وكل هبات الروح القدس هي للإنسان الجديد فينا الآن غير المنظور ، روح الإنسان الخفي الذي خُلق لنا مجدداً في المعمودية من الماء والروح خلقاً كاملاً غير منظور ، وهو نصيبنا غير الظاهر ، المحفوظ لنا بنعمة الله الكلمة ، بروحه ، ليس فقط لكي نحيا نحن بالجسد معه عن قرب مثل آدم ، بل بالحري لكي يتحد هو بنا ونحن نتحد به منذ الآن بالروح بسر الإيمان والكلمة ، وبسر الجسد والدم الإلهيين ، لنصير واحداً فيه .

لا أصدقاء بعد بل شركاء في جسد واحد !!

أنظروا أيها الأحباء أي نعمة نحن فيها مقيمون ؟ آدم كان يحيا مع الله عن قرب ، كان له مجرد الإمتياز أن يعيش في حضرة الله يراه و يسمعه ، أما نحن الآن المولودين ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل ، أي ليس من آدم بعد ، بل المولودين من الله من الماء والروح ، المؤمنين باسمه ، فقد وهب لنا أن نأخذ روح المسيح فينا ونتحد به لنحيا ، لا نحن ، بل المسيح يحيا فينا . هذا هو غاية ميلاد المسيح ، فهذا الميلاد العجيب الذي كُني عنه بكلمة عجيبة « عمانوئيل » هو تفسيره « الله معنا » ، وهو غاية المكتوب : « الكلمة صار جسداً وحل فينا ἐν ἡμῖν ورأينا مجده » لا رؤية العين الوقتية كآدم ، بل كشركة دائمة ، رؤيا الروح بالبصيرة الجديدة حتى العمق الإلهي : **« من رآني فقد رأى الآب »** (يو١٤ : ٩) ، « أمين هو الله الذي به **دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح** » (١ كو١ : ٩) ، لنكون شركاء في مجده ، شركاء في مُلكه ، شركاء معه في ميراثه للآب .

إنساننا الجديد هو نصيبنا السمائي الذي لا يتدنس ولا يضمحل ، هذا الرجاء عظيم للغاية :

مرة أخرى أنبه ذهنكم أننا الآن بالإيمان عائشون ومتحدون بالروح في المسيح يسوع ، ولكن ليس عن طريق الجسد الذي بأعماله وشهواته ونزواته يسير سيراً مؤكَّداً إلى مصيره المحتوم في القبر ، بل نحن نعيش في المسيح ونحيا فيه متحدين بروحه القدوس بواسطة الإنسان الجديد المخلوق على صورة الله في المجد ، بسر الميلاد الجديد من الماء والروح ، هذا هو نصيبنا الإلهي الذي نعيش فيه برجاء عظيم منذ الآن على الأرض ، والمحفوظ لنا بوعد إلهي في السماء أيضاً لن يتدنس ولن يضمحل ، وليست قوة ما في السماء أو على الأرض تستطيع أن تنزعه منا .

بنوية جديدة للإنسان في الله أقوى من بنويّتنا لآدم :

يقول يوحنا الرسول مؤكّداً : « أيها الأحباء **الآن نحن أولاد الله** ولم يُظهَر بعد ماذا

سنكون ، ولكن نعلم أنه إذا أُظهِر **نكون مثله** ، لأننا سنراه كما هو . » (١ يو٣ : ٢)

هذا القول ليوحنا الرسول هام جداً وخطير للغاية ، فهذا يدعونا بكل ثقة أن نرتكز على إيمان واثق وثيق لا يتزعزع أننا الآن أولاد الله ، كما يقول الرسول يوحنا : « أيها الأحباء **الآن** نحن **أولاد** الله » . هذه أول حقيقة مسيحية وأعظم هبة قد صارت لنا بتجسد ابن الله الكلمة ، أي المسيح ، وميلاده في بيت لحم . فلأنه ابن الله ولأنه أخذ منا لنفسه جسداً بشرياً كاملاً واتحد به اتحاداً أقنومياً دائماً وأبدياً ، أصبحت البشرية كلها متبنّاه في المسيح لله ، أي صار الإنسان بكل كيانه الجسدي ابناً لله في المسيح .

مرة أخرى أقول ، بتجسد ابن الله وميلاده بشرياً كإنسان وهو الله ، دخل الإنسان دخولاً حاسماً ومهيباً ، بسر لا يُنطق به ، في بنوية لله غير منفصلة وغير مائتة ، أما المعمودية ومسحة الروح القدس فهما السران اللذان يهبان هذه البنوية لله ، أي يهبان كل شخص خاص قائم بذاته ، طفلاً كان أو رجلاً ، هذه الهبة العامة العظمى ، التي صارت للإنسان عامة ، أي البنوية لله التي صارت لنا جميعاً في المسيح بتجسده .

البنوية الجديدة التي نالها الإنسان في الله ذات صفات موروثة :

ولكن مرة أخرى يفتح ذهننا يوحنا الرسول لكي ندرك أنها ليست بنوية معنوية ، كأن يقول إنسان : « أنا ابن فلان بالروح أو بالمحبة أو بالطاعة » ، بل هي بنوية « **ميراث** » ذي صفات متحدة ، كما يولد الطفل أبيض الجلد أزرق العينين من أب وأم لهما هذه الصفات ، وكما يولد الطفل أسود الجلد عريض الشفتين من أب وأم لهما هذه الصفات . ولا يجاهد الإبن قط ليكون على شكل أبيه ، بل عليه أن يجاهد حتى لا يفقد شكل أبيه وصفاته التي ورثها منه . هكذا نحن نلنا شكل المسيح الروحي وصفاته ، وما أصبح علينا إلاَّ أن نجاهد بكل ثقة الإيمان ومؤازرة روح المسيح أن لا نفقد ميراثنا فيه .

إسمعوا ما يقول يوحنا الرسول : « الآن لم يظهر بعد ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه **إذا أُظهِر نكون مثله لأننا سنراه كما هو** » . هذا يعني أننا الآن لا نعلم دقائق الصفات

والإمكانيات والمواهب والأمجاد التي ستكون لنا عند مجيء المسيح في مجده وقيامتنا لملاقاته. **ولكن الشيء المؤكَّد عند يوحنا الرسول والذي يؤكِّده بثقة ويقين الروح القدس أننا سنكون «مثله».** أو كما يؤكِّدها بولس الرسول أيضاً وبنفس القوة واليقين: «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، **ومتى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.**» (كو٣: ٣و٤)

إننا الآن حائزون على صورة المسيح وننتظر استعلانها:

هنا يؤكِّد الرسول أنه بظهور المسيح ستستعلن في الحال حقيقة الميلاد الجديد الذي ظفرنا به الآن في سر، أي بميلاد المعمودية غير المنظور من الماء والروح القدس. يوحنا الرسول يؤكِّد أن البنوة لله التي نتكلم عنها الآن بالإيمان والتي لا نرى شيئاً قط من ملامحها، ستُستعلن أمجادها بصورة واضحة وحاسمة ومذهلة، حينما نرى بأعيننا أننا مثل المسيح في المجد وفي كل شيء له عند استعلانه أي ظهوره.

كما أخذ المسيح صورتنا في بيت لحم،
أخذنا نحن صورته في المعمودية:

ومرة أخرى حينما نعود إلى ميلاد المسيح في بيت لحم وننظر كيف نرى ابن الله الذي صار جسداً كواحد منا، له شكلنا تماماً وله ما لنا من جسد ونفس وروح وعقل وحواس وكل شيء «ما خلا عيب الخطيئة»، علينا في الحال أن نرفع بصيرتنا الروحية العميقة لنؤمن أننا في المعمودية حينما نولد لله نحن أيضاً بدورنا ميلاداً روحياً سماوياً من الله بسر غير منظور، نأخذ من المسيح ابن الله من الصفات والإمكانيات والقدرات والمواهب الروحية غير المنظورة وغير البشرية بالقدر وبالجرأة وبالإعجاز التي أخذ بها ابن الله ما هو من بشريتنا!! أي نعود ونواجه الحقيقة اللاهوتية التي طالما نرددها: «أخذ ما لنا وأعطانا ما له، فلنسبحه ونمجده ونزيده علواً» (ثيئوطوكية الجمعة). أو كما يقول الآباء: «وصار ابناً للإنسان لكي نصير نَحن أبناء الله فيه، وصار بشراً لكي نصير نحن متألهين فيه».

كما في بساطة وفقر مذهل أخذ شكلنا ،
هكذا أيضاً في بساطة وفقر مذهل أخذنا شكله :

ثم أعود وأكرر مرة أخرى أنه بقدر معجزة ميلاد ابن الله في بيت لحم وكيف قد صار في بشرية ضعيفة مستضعفة مثلنا في كل شيء ، ببساطة وفقر وهدوء مذهل لا يتناسب ظاهره قط مع حقيقة جوهره ، هكذا وعلى نفس المستوى من الإعجاز المذهل يتم ميلاد الإنسان من الله ، من السماء ، من فوق ، بالماء ومن الروح القدس في جرن المعمودية ، بنفس البساطة المذهلة والفقر المذهل الذي ظاهره لا يتناسب مع حقيقة جوهره .

ميلاد كلمة الله الأزلي ميلاداً آخر في ملء الزمن ،
أعطانا نحن الترابيين ميلاداً آخر في ملء الخلود :

ثم لو استطعنا في تأمل عميق أن نضع تجسد أقنوم ابن الله ، السر الخفي والمكتوم منذ الدهور ، مولوداً على الأرض ظاهراً وملموساً في بيت لحم ، جنباً إلى جنب مع ميلادنا غير المنظور الروحي الجديد من الله من السماء في جرن المعمودية ، فماذا نرى ؟

أقول ، لو استطعنا ولو إلى لحظة أن نلمح مقدار الترابط العجيب والمدهش حقاً بين تجسد ابن الله مولوداً من عذراء ميلاداً جسدياً آخر غير ميلاده الأزلي ، وميلادنا نحن الروحي السمائي ميلاداً آخر من الماء من بطن الكنيسة ومن الروح القدس غير ميلادنا الجسدي العتيق ، لعثرنا على التبادل المدهش الذي صنعه المسيح في نفسه ، ليعطينا بميلاده الثاني الجسدي ميلادنا الجديد السمائي ، ليعتقنا من ميلادنا الآدمي الذي فسد ولم يعد يصلح للوجود والحياة مع الله ، بل ولعثرنا أيضاً وفي الحال على علة وجودنا وإيماننا الوثيق بالتجسد و بالكنيسة و بالروح القدس كمصدر جديد و باب مفتوح وطريق حي يرفعنا رفعاً إلى الحياة الأبدية للوجود مرة أخرى مع الله ، بلا ثمن ولا فضة بلا دموع ولا تنهد ولا عرق الجبين !! أو بتعبير عملي نقول : إن ميلاد المسيح في بيت لحم هو بابنا المفتوح عبْر طريق الجلجثة للحياة مع الله ، أو بالأحرى لحياة الله معنا .

الإتحاد الأقنومي الوثيق بين اللاهوت والناسوت في المسيح ،
ضمن لنا وجوداً وحياة أبدية مع الله بلا تهديد !

ليس كما كان يحيا آدم قديماً تحت تهديد الوصية بالحرمان والطرد والموت ، بل إنه طالما قد تم الإتحاد بين الله وجسد الإنسان في تجسد المسيح وميلاده ، وطالما أن هذا الإتحاد غير قابل للإنفصال أبداً و بأي حال من الأحوال ، هكذا ضمن المسيح بتجسده وميلاده في عالمنا ومن لحمنا ودمنا عهداً أبدياً أن نحيا مع الله أو بالحري يحيا الله معنا بلا أي تهديد ، لأنه هو هو الذي أتى إلينا متحداً بنا بروحه في شخص يسوع المسيح ، عندما عز علينا واستحال استحالة أبدية أن نذهب إليه بأجسادنا الترابية . هذا هو تفسير التجسد وقوة ميلاد المسيح « عمانوئيل » أي الله معنا !!

العودة إلى الله هي رجاء حي دائم إلى الأبد :

هذا رجاء عظيم أيها الأحباء أن نعود إلى الله ، أو بالحري يعود الله إلينا بهذا اللطف والوداعة وهذه البساطة المتناهية ، حيث تبدأ المصالحة العظمى بين الله والإنسان في بيت لحم بهذه الصورة في قامة الطفولة التي ارتضى الله أن يتراءى بها أول ما يتراءى في وسطنا ، وعلينا أن نتيقن أنها نفس الصورة المطلوب منا أن نتلاقى فيها مع الله بالروح كشرط أساسي للدخول إلى ملكوت الله : « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات . » (مت١٨ : ٣) .

وتعبِّر الكنيسة عن هذه العودة كل يوم في لاهوتها الطقسي ، أثناء التبخير في رفع البخور في الكنيسة ، حينما يتجه الكاهن ناحية الغرب في الخورس الثاني — والغرب في الرمز الطقسي يشير إلى مكان الجحيم حيث نفوس الذين كانوا ينتظرون الخلاص — و يقول : « فتح باب الفردوس وردَّ آدم إلى رئاسته مرة أخرى » !

وهكذا لم تكف الكنيسة عن تذكار هذا الرجاء ، رجاء العودة الدائمة لآدم و بنيه ، ألفي سنة لتقرر لنا حقيقة قائمة لنعيش بها يوماً بيوم .

التجسد كحقيقة لاهوتية هي مصدر ثقة وشجاعة ، تبدد كل خوف في جهادنا :

هكذا صار التجسد إمكانية فائقة للعودة بالإنسان إلى الحضرة الإلهية ، في هدوء كهدوء الفجر عندما سمعت أول صيحة للطفل يسوع وهو في حضن أمه . ولكن كما سبق وقلنا إنها عودة بملء الحب وملء الرجاء ، بلا خوف . فالمبادرة التي أتمها الله في بيت لحم كفيلة حقاً أن تبدد الخوف ، أي خوف ، عند محاولتنا كل لحظة للدخول والتراثي أمام الله بالتوبة ، لأن الله لن يندم قط على ما أقدم عليه ولن يتخلى عن الجسد الذي أخذه لنفسه . كما نطق زكريا الكاهن وهو ممتلىء من الروح القدس ــ والمسيح جنين في بطن العذراء ــ وقال : « مبارك الرب إله إسرائيل **لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه ، وأقام لنا قرن خلاص** في بيت داود فتاه ، كما تكلَّم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر **خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا** ليصنع رحمة مع آبائنا و يذكر عهده المقدس ، القَسَم الذي حلف لإبراهيم أبينا **أن يُعطينا أننا بلا خوف ,,منقَذين،،** (لاحِظ أن الفعل ــ مُنقَذين ــ هنا في صيغة الحال) **من أيدي أعدائنا** . نعبده بقداسة و بر قدّامه جميع أيام حياتنا . » (لو١ : ٦٧ــ٧٨)

بالتجسد أكمل الله وعده الأول « نخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا » :

يا أحبائي أنبه ذهنكم أن رجاء العودة إلى الله الذي نتكلم عنه ، ليس هو رجاءً يختص بالمستقبل نتوسله ونتمناه بدموع وخوف ، بل هو رجاء حي بحياة المسيح الذي تجسد في لحمنا ودمنا ، وهو قائم ودائم لنا وقد تم بقيامة المسيح . لأن المسيح وُلد فينا وقام بنا ، فضَمِنَ لنا ميلاداً من الله مجاناً وحياة مع الله إلى الأبد بلا انزعاج ولا خوف كالذي أجراه في نفسه من جهتنا .

فنحن في المسيح المولود في بيت لحم قد حُسبنا في الحال وإلى الأبد أنسباء بل أقرباء كأهل في بيت الله ، لأنه قد صار لنا بكراً بين إخوة وصار مشابهاً لنا في كل شيء ، و بالصليب والجسد والدم صرنا لا أقرباء وحسب بل متحدين به كأعضاء في الجسد

عينه ، لنا نفس الصورة والشبه ، إن حياتنا مع الله قد صارت في الحقيقة حياة في الله ، مكتملة الصورة والشبه كقصد الله منذ البدء تماماً ، بواسطة المسيح . هذا رجاء عظيم لا نترجاه كأنه بعيد عنا ، بل نحياه ، لأن المسيح وروح المسيح فينا وقد شكَّل حياتنا بالفعل لنكون على شكله ، والذي قدَّمه لنا الله في ابنه لن ينزعه منا قط .

حصولنا على صورة الله ومثاله ، مجدداً ، بالإيمان بالمسيح والمعمودية ، يعطينا شجاعة وقوة لممارسة حياة القداسة :

ولكن يوحنا الرسول يرتفع مرة واحدة بهذا الرجاء القائم فينا ، ليصيره لنا قوة مستمرة وفعلاً دائماً فينا ، قوة نهزم بها الخوف ، وفعلاً نجري بواسطته تقديساً متواصلاً للحياة التي نحياها في الإيمان : يقول يوحنا الرسول في رسالته : « أيها الأحباء **الآن** نحن **أولاد الله ،** ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر **نكون مثله ، لأننا سنراه كما هو وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر** » (١يو٣ : ٢—٣) . وهنا يلمِّح لنا يوحنا الرسول أن التطهير والتقديس نستمده بالصورة التي في المسيح « **كما هو طاهر** » .

نحن الآن لا نجاهد لنأخذ صورة الله بل نجاهد لنحتفظ بها :

مرة أخرى أكرر أن الإبن لا يجاهد قط ليكون على صورة أبيه ، بل ولا يستطيع ، ولكن كل المطلوب من الإبن أن لا يشوه صورة أبيه التي فيه ، هكذا بقدر تدقيقنا في الحياة ، في السلوك ، في الكلام ، في التفكير ، **بحسب وصية المسيح في الإنجيل وبقوة الرجاء** الذي لنا ، نحتفظ بصورة المسيح التي خلقها فينا الله ، في ميلادنا السري من فوق ، ونحتفظ بكل النعمة وبالروح القدس الذي سكبه الله في قلوبنا ليعطينا كل صفات المسيح « بالرجاء خلَصْنا » (رو٨ : ٢٤) .

فرق عظيم وشاسع بين أن نجاهد لنكتسب فضائل لأنفسنا ، وبين أن نجاهد لنعلن عن صورة المسيح فينا وعمل النعمة والروح القدس الذي وهبه لنا . بولس الرسول يصرخ

لتيموثاوس **أن « اضرم الموهبة التي فيك »** (١تى ٤ : ١٤ ، ٢تى ١ : ٦) !! وكأن المسيح نـار داخـل تيموثاوس قد نعس عن النفخ فيها بالصلاة لتتقد . ليس مطلوباً منا أن نحصل على نـار جـديـدة من السماء ولا أن نحصل على ذهن جديد وعيون جديدة لنرى الرب ، بل يؤكّـد لـنـا بـولـس أنـنـا قـادرون جميعاً بالنور و بالنار التي فينا أن ننظر إلى الرب « بوجه مكـشوف (أي بدون برقع الناموس) كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح . » (٢ كو ٣ : ١٨)

هـنـا قـولـه **« كما في مـرآة » يـؤكّـد لـنـا تماماً أننا حاصلون في أنفسنا على صورة المـسـيـح تماماً** ، ولا يحرمنا من التحول إلى هذه الصورة إلاَّ عدم اضرام الموهبة وما يتبعها حتماً من برودة الروح ، وضعف الرؤ يا ، والحجاب المظلم ، الذي يصير على أعيننا ، من جهة ضعف الإيمان والخوف وعدم التصديق وإهمال عمل الروح القدس .

يـوحنا الرسول يستحثنا أن نستخدم هذا الرجاء الذي أُعطي لنا بتجسد المسيح الذي بـه صـرنا أولاد الله ، وأننا مزمعون أن نكتشف بظهور المسيح كيف أننا صرنا مثله ، وأننا سـنـراه كما هـو ــ أي في مـلء مجـده ــ بـسبب الشركة التي منحها لنا معه في كل شيء حتى مجده . هذا الرجاء في نظر يوحنا الرسول ، قوة بحد ذاتها قادرة أن نستخدمها في تطهير ذواتنا من الخوف والشك وكل أعمال الظلمة الكاذبة ، **ووقوفنا في وجه كل محاولة من الـشـيـطـان لإخـراجـنـا مـن دائـرة هذا الرجاء** . يوحنا الرسول يؤكّد أننا بهذا الرجاء نـسـتـطـيـع أن نـطهر ذواتنا ونطهر عيوننا وإرادتنا منذ الآن ، لكي نؤهَّل أن نراه كما هو ، وهـذا لا يحصل عليه إلاَّ مَن صار مثله . فرق بين إنسان يحتفظ بعينيه سليمتين صحيحتين تـمـامـاً ، فـيـرى الـوجـوه الجميلة كما هي ، وإنسان أهمل عينيه فلم تعودا تبصران الوجوه الجميلة إلاَّ كأشباح لا جمال ولا منظر لها .

هـكـذا فـلـيـكـن مـعـلـومـاً لـنـا أن الله وهـب لنا بواسطة المسيح كل المواهب وكل الـصـفات ، لكي نكون مثل المسيح في كل شيء ، ولنراه كما هو تماماً كما شاء أن يكون

لنا ، لنستطيع أن نكون وارثين معه في كل ما لله أبيه . و بالتالي أن نراه كما هو ونكون معه في مجده ونرى به الآب أيضاً .

لقد سلّم لنا المسيح كل هذا الرجاء بكل وضوح وثقة في الإنجيل ، لنجاهد حتى تُستعلن صورته فينا التي وهبها لنا بعمل الروح القدس ، بل وقد أضاف الله أن **وهب إنسانـنـا الجديد هذا ، أن يتجدَّد للمعرفة كل يوم ، بل كل لحظة ، ليكون حسب صورة خالقه !!** (كو٣ : ١٠) .

هذه هي عطية ومحبة الآب لنا في معجزة المسيح العظمى في بيت لحم .
هذا هو سر مشاركة ابن الله لإنسانيتنا ، وهذا هو تفسير عمانوئيل الله معنا .

(يناير ١٩٧٨)

بمناسبة عيد الميلاد:

التجسد الإلهي

في لاهوت القديس كيرلس الكبير

أقوال رصينة للقديس كيرلس الكبير عن التجسد الإلهي ظهرت للنور في اللغة العربية لأول مرة في تاريخ الكنيسة.

□●□●□

يُعتَبَر القديس كيرلس أعمق مَن تفاعل بالقيم الروحية الفائقة المذخرة في سر التجسد الإلهي. ولذلك فهو أكثر مَن اهتم بالدفاع عن حقيقة «الإتحاد الفائق الوصف» (+) الذي تم بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح. فهذه الحقيقة تملكت على تفكيره الروحي سواء في كتاباته التفسيرية أو في شروحه للعقيدة أو في كتاباته الروحية، والسبب في ذلك أنه تيقَّن في عمق كيانه الروحي أن الإتحاد الأقنومي الذي تم في المسيح هو «بداية ووسيلة اتحادنا بالله»،

وهو «حلول **اللوغوس** ــ الكلمة ــ في الجميع بواسطة الواحد»،

وهو بداية قيام «**الكنيسة التي هي جسده**» بمعنى أن الكنيسة هي امتداد لسر التجسد الإلهي الفائق الوصف.

وسنقدِّم في هذا المقال أقوال القديس كيرلس الخاصة بهذا الموضوع مبوَّبة تحت ثلاثة عناوين:

أولاً: **كيفية التجسد الإلهي** الفائق الوصف والتشبيهات المناسبة له.

ثانياً: **نتيجة التجسد الإلهي** الفائق ــ حلول اللوغوس فينا.

ثالثاً: **الكنيسة كامتداد لسر التجسد الإلهي أي «لسر المسيح»**.

(+) أنظر قول رقم (١).

أولاً : كيفية التجسد الإلهي الفائق الوصف

كثيراً ما ينعت القديس كيرلس التجسد الإلهي بأنه :

ــ فائق الوصف	ἄφραστος
ــ سرِّيّ بصفة مطلقة	ἀπόρρητος παντελῶς
ــ لا يُنْطق به	ἀρρήτος
ــ يفوق العقل	ἀπερινόητος
ــ سرِّي وفائق للعقل(1)	ἀπόρρητος καὶ ὑπὲρ νοῦν

وهو لا يقصد بذلك أن ينهينا عن معرفة حقيقة هذا السر الإلهي ــ وإلاّ فكيف نؤمن به ؟ بل هو ينهينا عن إخضاعه للفحص العقلي :

[**إن كيفية الإتحاد عميقة حقاً وفائقة الوصف** وفائقة لمداركنا . فمن الجهالة التامة أن نُخضِعَ للبحث (العقلي) ما يفوق العقل وأن نحاول أن ندرك بعقولنا الذي لا يُدرَك بالعقل . أم لست تعلم أن **ذلك السر العميق ينبغي أن يُعبَد بإيمان بلا فحص ؟** وأما السؤال الجاهل « كيف يمكن أن يكون هذا ؟ » فإننا نتركه لنيقوديموس وأمثاله .

وأما نحن فإننا نقبل بدون تردد أقوال روح الله ونثق أن المسيح القائل : « الحق الحق أقول لكم : إننا نتكلَّم بما نعلم ونشهد بما رأينا » ...](2)

فنحن أمام هذا السر الإلهي الفائق الوصف ليس لنا أن نفحصه بعقولنا بل أن نؤمن به بقلوبنا وأن نعبده بأرواحنا :

[**إن كيفية التأنُّس عميقة حقاً وفائقة الوصف** وفائقة لمداركنا ... فإن هذا

---

(1) تتكرر هذه العبارات في مواضع عديدة من كتاباته ، فمثلاً في « الجلافير على التكوين ٦ » يقول : « الإتحاد الذي يفوق العقل ولا يوصف » .

(2) في تجسد الإبن الوحيد. PG 75, 1217

السر العميق الذي يفوق العقل ينبغي أن يُعْبَد بإيمان بدون التواء.](٣).

[**بأية كيفية يصير جسد الرب محيياً؟** هذا سر لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبر غوره ولا أي لسان أن يعبِّر عنه، ولكنه جدير بأن يُعْبَدَ في صمت وإيمان.](٤).

ولكن بالرغم من أننا لا نستطيع أن ندرك بعقولنا أعماق هذا السر الإلهي الفائق على مداركنا، إلاَّ أننا نستطيع أن نقترب إليه بأرواحنا فنعبده «في صمت وإيمان».

وهذا هو ما يقصده القديس كيرلس من التشبيهات الكثيرة التي يقدّمها عن هذا السر الإلهي الفائق الوصف (ومعظمها مستمد من العهد القديم): يقصد أن ينمي إحساسنا الروحي بسر الإتحاد الفائق الذي تم بين اللاهوت والناسوت في المسيح فيجعلنا نؤمن بهذا السر ونعبده «بإيمان بدون التواء» فنستمد منه مفاعيله الروحية داخل نفوسنا كما سنرى في الجزء الثاني من هذه المقالة.

بعض الرموز والتشبيهات عن سر التجسد الإلهي

١ ــ العُلَّيْقَة.
٢ ــ جمرة إشعياء.
٣ ــ إتحاد النار بالحديد.
٤ ــ النار والماء.
٥ ــ تابوت العهد.

والملاحَظ في معظم هذه التشبيهات أن الجوهر الإلهي ممثَّل فيها بواسطة النار. فالنار رمز مناسب لجوهر الله: إننا نعلم أن طبيعة الله هي المحبة «الله محبة» وأن هذه المحبة متأججة كالنار «المحبة قوية كالموت... لهيبها لهيب نار لَظَى الرب» (نش ٨: ٦)؛ لذلك

---

(٣) عن الإيمان القويم إلى ثيئودوسيوس: ٢٣. PG 76, 1165.
(٤) تفسير يوحنا ٦: ٦٤. PG 73, 604 D.

قيل أيضاً أن «إلهنا نار آكلة» (عب ١٢ : ٢٩). ولذلك فمن المناسب جداً أن يُرمَز لجوهر اللاهوت بواسطة النار المتأججة التي هي أقوى من كل شيء سواها.

١ ـــ العُلَّيقة:

[الكتاب المقدس يشبِّه الطبيعة الإلهية بالنار بسبب قدرة هذا العنصر الذي يغلب بسهولة كل ما يعترضه. وأما طبيعة الإنسان الترابي فهي على عكس ذلك تُشبَّه بالزرع و بنبات الحقل. فالكتب المقدسة تقول ـــ من جهة ـــ «إن إلهنا نار آكلة»، ومن جهة أخرى «الإنسان كالعشب وأيامه تفنى كزهر الحقل»، فكما أن العَوْسج (الشوك) بطبعه لا يحتمل النار هكذا أيضاً الناسوت بطبعه لا يحتمل اللاهوت.

وأما في المسيح فقد حلَّ كل ملء اللاهوت جسدياً بحسب قول الحكيم بولس: «والساكن في النور الذي لا يُدنى منه» أتى وحل في هيكل جسده المأخوذ من العذراء.

لذلك فالنار (التي رآها موسى) ما كانت تحرق العَوْسج بل كانت تتلاطف وتتآلف مع طبيعة الخشب الضعيفة، وهكذا اللاهوت كان يتآلف مع الناسوت. وهذا هو السر الذي تم في المسيح. ولكن فينا نحن أيضاً يأتي اللوغوس و يسكن (بالنعمة)...](*)

وأيضاً عن العُلَّيقة يقول في حوار «**المسيح واحد**»:

[باطل هو إدعاء مَن يقول إننا باعترافنا بطبيعة واحدة للإبن المتجسد والمتأنس نُحدِث اختلاطاً أو امتزاجاً (بين اللاهوت والناسوت)،... فإنهم إذا اعتبروا أن طبيعة الإنسان لكونها ضئيلة جداً أمام الطبيعة الإلهية الفائقة فلابد أن تتلاشى إذا ما اتَّحدت بها(*)، فإننا نجيبهم «تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله»

(*) جلافير على سفر الخروج. PG 69, 413.

(*) وهذا الخطأ هو الذي وقع فيه فيما بعد أوطاخي الذي صار يقول بتلاشي الطبيعة البشرية في الطبيعة الإلهية كما تذوب نقطة الخل في المحيط.

(مت ٢٢ : ٢٩)، فإنه لم يكن مستحيلاً على الله محب الصلاح أن يُخضع نفسه لحدود البشرية، وهذا هو ما سبق موسى وأعلنه لنا في سرٍّ مبيَّناً لنا في مثال كيفية التجسد: فإن الله قد نزل في العُلَّيقة في البرية بمنظر النار وكان يضيء العوسج ولا يحرقه. وكان موسى يتعجب من هذا المنظر. لأن الخشب (بطبعه) لا يحتمل النار. فكيف استطاعت هذه المادة القابلة للإحتراق أن تحتمل اشتعال النار فيها (بدون أن تحترق)؟ لقد كان هذا كما قلت مثالاً τύπος للسر الذي به استطاعت طبيعة اللوغوس الإلهية أن تُخْضِع نفسها لحدود البشرية، لأنه أراد ذلك ولأنه لا يستحيل عليه شيء قط.] (٦)

وأيضاً في العظة الفصحية السابعة عشرة يتكلَّم القديس كيرلس عن العليقة كمثال لإتحاد اللاهوت بالناسوت قائلاً ما معناه: إن النار كانت تضيء العُلَّيقة دون أن تحرقها، وهكذا أيضاً اللوغوس لما تجسَّد لم يحرق الجسد الذي اتَّحد به بل على العكس جعله جسداً محيياً (٧).

٢ ــ جمرة إشعياء:

[يقول إشعياء النبي: «فأُرسل إليَّ واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح. ومسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مسَّت شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك» (إش٦: ٦و٧). ونحن نقول إن الجمرة المشتعلة تقدِّم لنا مثالاً وصورة للوغوس المتجسد الذي حينما يمسُّ شفاهنا ــ وذلك حينما نقرُّ بإيماننا

(٦) المسيح واحد. PG 75, 1293.

(٧) عظة فصحية ١٧. PG 77, 781 A-D.

وفي موضع آخر يطبِّق رمز العليقة على العذراء نفسها قائلاً: [كما أن النار في البرية كانت تشتعل في العليقة بدون أن تحرقها هكذا أيضاً العذراء قد ولدت «الله الكلمة» بدون أن تفقد بكوريتها] (ضد الأنثروبومورفيت أي القائلين بأن الله في شبه الناس PG 76, 1129 A).

وجدير بالملاحظة أن هذا التفسير الأخير هو الذي تسجّل في الثيئوتوكيات (أنظر ثيئوتوكية الخميس القطعة الأولى).

به ــ فهو يجعلنا أنقياءَ من كل خطية و يُبرئنا من الإتهامات المقدَّمة ضدنا. و بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نرى في الجمرة مثالاً لإتحاد كلمة الله بالطبيعة البشرية دون أن يفقد لهذا السبب كيانه الخاص(٥)، بل على العكس محوِّلاً ما قد أخذه منا واتحد به إلى مجده الخاص وعمله الخاص. فكما أن النار حينما تتصل بالخشب «الفحم» وتدخل فيه تستحوذ على كيانه وتحوِّله، ليس عن كونه خشباً، بل بالحري تحوله إلى مظهر النار وقوتها وتضع فيه جميع صفاتها الخاصة حتى إنه يُعتبر واحداً معها، هكذا سترى في المسيح أيضاً: لأن الله المتحد بالناسوت بصورة لا يُنطق بها قد حفظه ناسوتاً بالصفات الخاصة بالناسوت وهو نفسه قد بقي إلهاً كما كان، غير أنه من بعد الإتحاد يُعتبر واحداً مع ناسوته، لأنه اقتنى لنفسه ما لهذا الناسوت كما أشاع في هذا الناسوت أيضاً قوة طبيعته (الإلهية) الخاصة.](٨)

وأيضاً عن جمرة إشعياء يقول في كتابه «ضد نسطور»:

[إن المسيح يُعتبر «واحداً من اثنين» أي من لاهوت وناسوت قد اجتمعا في وحدة حقيقية. والكتب الموحَى بها من الله تؤكِّد ذلك في ربوات من المواضع والكلمات والرموز التي نرى فيها بوضوح بدون عناء «سر المسيح»(+). فالنبي المبارَك إشعياء يقول: وأرسل إليَّ واحد من السيرافيم و بيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح. ومسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مسَّت شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك» (إش٦: ٦و٧). فإنْ بحثنا على قدر طاقتنا عن المعنى العميق لهذه الرؤيا وجدنا أن ربنا يسوع المسيح هو وحده دون سواه الجمرة الروحية الموضوعة

---

(٥) أي أنه «لم يزل إلهاً».

(٨) تعاليم في تجسد الإبن الوحيد. PG 75, 1377 D, 1380 B.

(+) يلاحَظ أن القديس كيرلس يستعمل هذه العِبارة «سر المسيح μυστήριον Χριστοῦ» التي يقتبسها من (أف٣: ٤) للتعبير عن سر الإتحاد الفائق الذي تَمَّ في المسيح بين اللاهوت والناسوت. فسرُّ المسيح هو أنه «جعل الإثنين واحداً» أي اللاهوت والناسوت بوحدة كاملة فائقة الوصف ثم أفاض علينا مفاعيل هذه الوحدة الأقنومية كما سنرى في الجزء الثاني من هذا المقال.

على المذبح حيث يقدِّم ذاته من أجلنا كرائحة بخور زكية لله أبيه (++). إذن فهو الجمرة الإلهية التي تمسُّ شفتي مَن يقترب إليها فتجعله للتو طاهراً نقياً من كل إثم. والمسيح يُشبَّه بالجمرة لأنه مثلها يُعتبَر من شيئين مختلفين ولكنهما باجتماعهما معاً قد اقترنا معاً في وحدة واحدة. لأن النار حينما تدخل في الخشب (الفحم) تحوله بنوع ما إلى مجدها الخاص ومع ذلك فهو يبقى على ما كان عليه (أي خشباً).](٩)

٣ ــ إتحاد الحديد بالنار:

[كما أن الحديد إذا قرَّبناه من نار شديدة يكتسب للوقت مظهر النار و يشترك في صفات ذلك العنصر الغالب؛ هكذا أيضاً طبيعة الجسد التي اتخذها لنفسه اللوغوس غير الفاسد والمحيي لم تبقَ على حالها الأول بل قد انعتقت من الفساد ومن الفناء وسادت عليهما.](١٠)

[إذا وضعتم حديداً في النار، فإنه يمتلىء كذلك بقوة النار...؛ وهكذا الكلمة المحيي لما وحَّد بذاته جسده الخاص ــ بالكيفية التي هو وحده يعلمها ــ جعل هذا الجسد محيياً.](١١)

٤ ــ النار والماء:

[فإن كانت النار المرئية تدخل قوة طبيعتها الخاصة في المواد التي تتصل بها وتحول الماء نفسه البارد بطبعه إلى ما يخالف طبيعته إذ تجعله حاراً، فكيف لا نؤمن أن

(++) قارن مع القطعة السادسة من ثيئوتوكية الأحد: «أنتِ المجمرة الذهب التي الحاملة جمر النار المباركة الذي يؤخذ من على المذبح فيطهِّر الخطايا و يرفع الآثام وهو الله الكلمة الذي تجسد منك ورفع ذاته بخوراً إلى الله أبيه».

(٩) ضد نسطور ٢. PG 76, 62.

أنظر أيضاً تفسير إشعياء ٦:٧. PG 70, 181.

(١٠) عظة فصحية ١٧. PG 77, 785 D-788 A.

(١١) تفسير لوقا ٢٢:١٩. PG 72, 909 B.

الكلمة الذي من الله الآب قد جعل جسده الخاص المتحد به جسداً محيياً؟](١٢)

٥ ــ التابوت:

يلاحَظ في هذا التشبيه أن جوهر اللاهوت فيه ممثل بواسطة الذهب بدلاً من النار. فمادة الذهب فائقة على سائر المواد كما أن عنصر النار فائق على سائر العناصر، لذلك فالذهب مناسب للتعبير عن الجوهر الإلهي الفائق:

[لقد قال الله لموسى: «وتصنع تابوتاً من خشب لا يسوِّس طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وتصفِّحه بذهب نقي من داخل ومن خارج» (خر٢٥: ١٠و١١). فالخشب الذي لا يسوِّس هو مثال للجسد الإلهي غير الفاسد، وأما الذهب الذي يفوق سائر المواد فهو يدلُّنا على الجوهر الإلهي الفائق (المتحد بهذا الجسد). ولكن لاحِظ كيف أن التابوت كان مصفَّحاً بذهب نقي من داخل ومن خارج. فإن الله الكلمة كان متحداً بجسده المقدس وهذا معنى تصفيح التابوت من خارج، كما كان متحداً أيضاً بنفسه العاقلة الكائنة في هذا الجسد وهذا معنى تصفيح التابوت من داخل أيضاً. وأما أن الإتحاد لا يعني الإختلاط بين الجوهرين فسنرى هذا أيضاً: لأن الذهب المصفَّح على الخشب قد بقي على حاله، وأما الخشب فقد اغتنى بمجد الذهب غير أنه لم يخرج عن كونه خشباً.](١٣)

---

(١٢) ضد نسطور ٤: ٥. PG 76, 189.
أنظر أيضاً «المسيح واحد». PG 75, 1361.
(١٣) تعاليم في تجسد الإبن الوحيد PG 75, 1381 AB.
أنظر أيضاً «العبادة بالروح والحق». PG 68, 596 CD.
وقارن مع القطعة الثانية من ثيئوتوكية الأحد: «التابوت المصفح بالذهب من كل ناحية، المصنوع من خشب لا يسوس، سبق أن دلّنا على الله الكلمة الذي صار إنساناً (بوحدة) لا يمكن أن تنحل. هو واحد من اثنين أي من لاهوت قدوس بغير فساد مساو للآب في الجوهر، ومن ناسوت مقدس بغير استحالة مساو لنا كالتدبير، هذا الذي أخذه منكِ أيتها الطاهرة واتّحد به بحسب الأقنوم».

وهكذا فإن جسد المسيح قد اغتنى بمجد اللاهوت الحالّ فيه وصار مجيداً ومحيياً، غير أنه لم يتحول عن كونه جسداً بشرياً مساوياً لأجسادنا تماماً في كل شيء ما خلا الخطية وحدها!

إن جميع التشبيهات السابقة تعبّر بدرجات متفاوتة عن حقيقة الإتحاد الأقنومي الذي تم بين اللاهوت والناسوت في المسيح الواحد. غير أن القديس كيرلس لا يقصد بذلك أن يرفع طابع السرّية عن هذا الإتحاد الفائق الوصف الذي على الرغم من كل هذه التشبيهات يبقى على مستوى السر الفائق على مداركنا الذي لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبر غوره.

[نحن نقول إن كلمة الله قد اتّحد بطبيعتنا غير أن كيفية هذا الإتحاد تفوق كل فكر بشري. فهي تختلف عن كافة التشبيهات التي قدّمناها حتى الآن بل هي تفوق كل تعبير وكل وصف وليس أحد من الكائنات يعرف حقيقتها إلاّ ذاك الذي هو وحده عالم بكل شيء.](١٤)

[إن الكلمة المحيي وحّد بذاته جسده الخاص بالكيفية التي هو وحده يعلمها.](أنظر قول ١١)

وهكذا نرى القديس كيرلس يكرّر مراراً كثيرة(+) أنه لا يقصد أن يوضّح كيفية الإتحاد الأقنومي، أي كيف وحّد المسيح لاهوته بناسوته، لأن هذه الكيفية تبقى على مستوى السر الذي «هو وحده يعلمه». بل ما يقصده القديس كيرلس من جميع هذه التشبيهات هو أن ينمي إحساسنا الروحي بحقيقة هذا الإتحاد الكامل الفائق الوصف الذي تم بين اللاهوت والناسوت في المسيح، فيجعلنا نؤمن بهذا السر الفائق إيماناً

---

(١٤) تعاليم في تجسد الإبن الوحيد. PG 75, 1375-1378 A.

(+) أنظر على الخصوص الأقوال رقم (٢) و (٣) و (٤) و (١١) و (١٤) وقارن مع القطعة الثامنة من ثيئوتوكية الأحد: «هوذا الله الكلمة قد تجسد منكِ بوحدانية لا يُعبَّر عن كيفيتها».

سليماً(++) و «نعبده بإيمان بدون التواء» فننال نصيبنا منه كما سنرى في الأقوال القادمة.

ثانياً: نتيجة التجسد الإلهي
حلول اللوغوس (الكلمة) فينا

+ الكلمة قد حلَّ في الجميع بواسطة الواحد:

كثيراً ما يعتمد القديس كيرلس على قول يوحنا الإنجيلي: «والكلمة صار جسداً وحل فينا» (+) (يو ١ : ١٤) لكي يربط بين تجسد الكلمة وحلول الكلمة في كل واحد منا:

(++) وإن كنا لا نستطيع أن نعرف «كيفية» الإتحاد الأقنومي أي كيف وحّد المسيح لاهوته بناسوته «بالكيفية التي هو وحده يعلمها» (قول ١١) إلاَّ أننا نستطيع أن نعرف صفات هذا الإتحاد بل و ينبغي أن نعرفها لكي نؤمن به إيماناً سليماً. ومن أهم صفات هذا الإتحاد في تعليم القديس كيرلس:

١ ــ إنه اتحاد حقيقي، طبيعي، جوهري، أقنومي.

ἕνωσις ἀληθής, φυσική, κατ' οὐσίαν, καθ' ὑπόστασιν,

وليس مجرد علاقة نسبية συνάφεια أو مشاركة μετοχή أو سكنى ἐνοίκησις .

٢ ــ إن المسيح الناتج من هذا الإتحاد «الطبيعي» هو واحد تماماً على الرغم من أن الإتحاد قد تم بين حقيقتين مختلفتين تماماً الواحدة عن الأخرى أي اللاهوت والناسوت فالمسيح هو «واحد من اثنين.» (عظة فصحية ٨ PG 77, 572 وقارن مع ثيئوتوكية الأحد القطعة الثانية)، وقد كتب القديس كيرلس كتاباً كاملاً بعنوان «المسيح واحد».

٣ ــ إنه اتحاد غير قابل للإنفصال ἀδιαιρέτως، أي أن «لاهوته لم ينفصل قط عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين».

٤ ــ إنه اتحاد بدون امتزاج ولا تغيير ἀσυγχύτως، ἀτρέπτως. أي أن اللاهوت لم يتغير إلى ناسوت ولا تغير الناسوت إلى لاهوت.

٥ ــ إن الناسوت لم يكن له كيان ذاتي قبل الإتحاد، أي أنه «لم تكن هناك ولا لحظة واحدة وُجد فيها هذا الناسوت بدون أن يكون جسداً للكلمة» (ضد ديودور PG 76, 1443).

(+) الشطر الثاني من هذه الآية هو في الأصل اليوناني: καὶ ἐσκήνωσεν ἐν ἡμῖν ، حيث المعنى المباشر لعبارة ἐν ἡμῖν هو «فينا» وليس «بيننا» وبهذا المعنى يفسرها القديس كيرلس في كل أقواله.

[«الكلمة صار جسداً وحل فينا» ما أعمق هذا السر!...
فالكلمة قد حلَّ في الجميع بواسطة الواحد (يسوع)،
لأنه إذ قد استعلن الواحد (يسوع) أنه ابن الله بقوة من جهة روح القداسة فهذه الكرامة امتدَّت منه إلى كل جنس البشرية حتى إنه بسبب الواحد الذي منا أدركتنا نحن أيضاً الآية القائلة: «أنا قلت إنكم آلهة»...](١٥)

وفي تفسيره لإنجيل متى يقول:
[فقد حل فينا كلمة الله وجعل جسد البشرية خاصاً له.](١٦)

وفي كتابه المسمَّى «الكنز في الثالوث»:
[لقد حل فينا كلمة الله... لكي يرفع الذي بلا كرامة إلى كرامته الخاصة.](١٧)

وفي كتاب «تعاليم في تجسد الإبن الوحيد» يقول بخصوص الآية «والكلمة صار جسداً وحل فينا»:
[لاحظوا، أرجوكم، كيف أن الإنجيلي (يوحنا) اللاهوتي يتوِّج بحكمة كل طبيعة البشر بقوله أن الكلمة «حل فينا». فهو يقصد بذلك ـــ على ما يبدو لي ـــ أن يقول أن تجسد الكلمة لم يحدث لأية غاية أخرى إلاَّ لكي نغتني نحن أيضاً بشركة اللوغوس بواسطة الروح القدس فنستمد منه غنى التبني.](١٨)

فالكلمة صار جسداً وحل في هيكل جسده الخاص لكي يتمكن بذلك أن يحل فينا نحن أيضاً. غير أن هناك فرقاً شاسعاً بين حلول الكلمة في جسده الخاص و بين حلوله

---

(١٥) تفسير يوحنا ١: ١٤. PG 73, 161.
(١٦) تفسير متى ١١: ١٨. PG 72, 401 B.
(١٧) الكنز في الثالوث ٢١. PG 75, 364 C.
(١٨) تعاليم في تجسد الإبن الوحيد. PG 75, 1400.

النسبي فينا بواسطة النعمة. لذلك يستطرد القديس كيرلس قائلاً:

[فنحن، إذن، نؤمن أن الإتحاد الذي تم في المسيح هو الإتحاد الأكمل والأحق. وأما فينا نحن فمع أنه قيل أنه «حل فينا» إلاَّ أن حلوله فينا هو حلول نسبي (أي بالمشاركة والنعمة) لأن فيه (وحده) «يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢: ٩)، أي أن الحلول الكائن فيه هو ليس مجرد حلول نسبي أو بالمشاركة (مثلنا)... بل هو اتحاد حقيقي بين طبيعته الإلهية اللامحدودة وهيكل جسده المولود من العذراء...](١٨م)

فحلول اللوغوس في هيكل جسده الخاص هو حلول طبيعي ومطلق، وأما حلوله فينا فهو حلول نسبي و بالنعمة والمشاركة. ولكن على الرغم من هذا الفرق بين هذين النوعين من الحلول كثيراً ما نجد القديس كيرلس يربط بينهما مبيناً أن الحلول الأول هو الأساس والوسيلة التي بها يتم الحلول الثاني:

[فالسر الذي حدث في المسيح هو بداية و وسيلة اتحادنا بالله.](١٩)

τῆς πρὸς Θεὸν ἑνώσεως

[نظراً لأن اللوغوس أخذ جسداً بشرياً لذلك صار داخلنا.](٢٠)

γέγονεν ἐν ἡμῖν

[نحن نقبل داخلنا δεχόμεθα ἐν αὐτοῖς اللوغوس الذي من الله الآب الذي صار إنساناً من أجلنا وهو اللوغوس الحي والمحيي. ولنبحث الآن كيفية هذا السر... لقد صار اللوغوس جسداً... ووُلد بحسب الجسد من امرأة آخذاً منها جسده لكي يتحد بنا اتحاداً لا يقبل الإنفصال...!](٢١)

(١٨ م) شرحه.

(١٩) تفسير يوحنا ١٧: ٢٠. PG 74, 577.

(٢٠) الكنز في الثالوث ١٢. PG 75, 204.

(٢١) تفسير لوقا ٢٢: ١٩. PG 72, 908-909.

[حيث أن جسد المخلّص صار محيياً بسبب اتحاده بذاك الذي هو الحياة بطبعه أي باللوغوس ، لذلك فنحن حينما نأكل هذا الجسد ننال منه الحياة داخلنا لأننا نصير متحدين به بمثل ما هو متحد باللوغوس الساكن فيه !] (٢٢)

أي أن اتحادنا بجسد المسيح هو على مثال اتحاد هذا الجسد الإلهي باللاهوت الساكن فيه !

وهكذا نرى في معظم الأقوال السابقة أن القديس كيرلس يربط بين الإتحاد الأقنومي الذي تم في المسيح و بين حلول اللوغوس فينا ، أي بين شطري الآية : «والكلمة صار جسداً» ، و «حل فينا» و يبين أن الشطر الأول هو أساس و «**وسيلة**» تحقيق الثاني وأن الثاني هو «**غاية**» الأول :

[السر الذي حدث في المسيح هو «**وسيلة**» اتحادنا بالله .] (قول ١٩)

[إن تجسد الكلمة لم يحدث لأية «**غاية**» أخرى إلاَّ لكي نغتني نحن أيضاً بشركة اللوغوس بواسطة الروح القدس فنستمد منه التبني .] (قول ١٨)

وهكذا تصير العلاقة بين شطري الآية هي علاقة غاية بوسيلة ، أي أن «الكلمة صار جسداً **لكي** يحل فينا» :

[لقد صار اللوغوس جسداً... لكي يتحد بنا اتحاداً لا يقبل الإنفصال .] (قول ٢١)

وهكذا يصير اتحاد اللوغوس بالجسد هو أساس ووسيلة اتحادنا نحن بالله .

+ إتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح أساسٌ لإتحادنا نحن بالله:

من المبادىء العقائدية السائدة عند القديس كيرلس التي يعود إليها في جميع كتاباته أن الإتحاد الذي تم في المسيح بين اللاهوت والناسوت هو أساس ووسيلة لإتحادنا نحن

---

(٢٢) تفسير يوحنا ٦ : ٥٤ . PG 73, 577.

بالله. وبهذه العقيدة الروحية السامية يرتفع القديس كيرلس من مستوى الجدل العقائدي في الدفاع عن الإتحاد الأقنومي إلى مستوى الخبرة الروحية السرية mystical لهذا الإتحاد الفائق الوصف الذي هو الغاية التي من أجلها جاء المسيح على الأرض وتجسد.

فالمسيح قد وحّد في نفسه اللاهوت بالناسوت «بطريقة لا يمكن تصورها» لكي يستطيع بذلك أن يوحّدنا «بواسطة نفسه» مع الله:

[فهو يُعتَبر «واحداً من اثنين»، فهو ابن واحد قد اجتمعت إليه واتحدت فيه في شخصه الواحد بطريقة لا توصف ولا تُفحص الطبيعتان الإلهية والبشرية لتكونا وحدة واحدة بطريقة لا يمكن تصورها.

فلهذا السبب أيضاً يُعتَبر هو الوسيط بين الله والناس لأنه قد جمع ووحّد داخل نفسه الشيئين اللذين كانا متباعدين جداً أحدهما عن الآخر واللذين كان يفصل بينهما هوة عظيمة، أعني اللاهوت والناسوت. فقد أظهرهما مجتمعَيْن ومتحدَيْن في نفسه وبذلك ربطنا بواسطة نفسه مع الله أبيه.](٢٣)

[فهو متحد (حرفياً: متداخل διήκοντος) بالإثنين: فهو من جهة متحد بالبشرية التي يتوسط لها؛ ومن جهة أخرى بالله الآب. فهو بطبيعته إله لكونه ابن الله الوحيد غير المنفصل عن جوهر الذي ولده بل بالحري يستمد وجوده من هذا الجوهر كما يُعتَبر أيضا من نفس هذا الجوهر. ومن جهة أخرى فهو عينه إنسان بصفته قد صار جسداً جاعلاً نفسه مشابهاً لنا لكي يوحّد بالله، بواسطة نفسه، ما كان بحسب الطبيعة منفصلاً جداً عنه.](٢٤)

أي أن المسيح هو بعينه إله وإنسان واحد لكي يوحّد في نفسه الإنسان مع الله فيعطينا إمكانية الإتحاد بالله. فهذا الجسد الإلهي الذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً هو

(٢٣) في الثالوث ١. PG 75, 692, 693.

(٢٤) تفسير يوحنا ٤:٤٦. PG 73, 429 B.

بالحقيقة « حلقة الوصل » μεθόριον بيننا و بين الله :

[إنه يوحّد بواسطة نفسه وفي نفسه البشرية مع الله . فقد صار « **حلقة وصل** » μεθόριον لأنه يجمع في نفسه الطرفين اللذين يسعيان معاً نحو الوحدة والمحبة (أي الله والبشرية) .](٢٥)

[نحن نتحد بالآب بواسطة المسيح كما بوسيط وكأنه هو « **حلقة الوصل** » μεθόριον بين اللاهوت الفائق السمو و بين الناسوت ، من حيث أن له الإثنين في كيانه وكأنه يجمع داخل نفسه الذين تباعدوا بمثل هذا القدر ، لأنه متّحد من جهة بالله الآب نظراً لأنه هو نفسه الله بحسب الطبيعة ، ومن جهة أخرى بالناس نظراً لأنه بالحقيقة قد صار إنساناً .](٢٦)

وهذا الجسد الإلهي هو « **الأداة** » ὀργάνον التي بها تتم عملية اتحادنا بالله(٢٧) ، لأننا حينما نقبله فينا نصير متحدين به بمثل ما هو متحد باللوغوس الحال فيه (أنظر قول ٢٢) .

فبارك هو هذا الجسد الإلهي الممتلىء بكل ملء اللاهوت جسدياً الذي بواسطته صرنا شركاء الطبيعة الإلهية واتحدنا بالله !

[لقد وحّد بنوع ما في نفسه الشيئين المفترقين جداً عن بعضهما بحسب الطبيعة والمتباعدين جداً عن أي تجانس بينهما (أي اللاهوت والناسوت) حتى يجعل الإنسان بذلك شريكاً للطبيعة الإلهية . فالسر الذي حدث في المسيح هو بداية

---

(٢٥) تفسير يوحنا ١٤ : ٥ و ٦ . PG 74, 192 AB.

(٢٦) تفسير يوحنا ١٠ : ١٤ . PG 73, 1045 C.

(٢٧) تفسير يوحنا ١٧ : ١٣ . PG 74, 488 A.

تفسير لوقا ٤ : ٣٨ . PG 72, 552 B.

تفسير لوقا ٢٢ : ١٩ . PG 72, 909.

ووسيلة اشتراكنا في الروح واتحادنا بالله!](٢٨)

[وبالإجماع قد صرنا أقرباء لله الآب (συγγενεῖς أي حرفياً شركاء في جنسه أي شركاء في طبيعته الإلهية) بالجسد الذي في سر المسيح!](٢٩)

+ المسيح صار ابناً للإنسان لكي نصير نحن أبناء لله:

لقد رأينا القديس كيرلس يؤكد أن غاية التجسد الوحيدة هي أن نستمدَّ من المسيح بالروح القدس «غِنَى التبني» (قول ١٨)، والآن ها هو يُبَلْور هذه الفكرة في عبارة مُحْكَمة صريحة بديعة في اختصارها ووضوحها:

[ابن الله صار إنساناً لكي يصير الناس فيه وبواسطته أبناءً لله بالتبني.](٣٠)

على أن هذا المبدأ الواضح الذي كثيراً ما يكرره القديس كيرلس بصيغ مختلفة، لا ينبع من فراغ بل هو مجرد توضيح وبَلْوَرة للآية التي قالها بولس الرسول: «أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة... لننال التبني.» (غل ٤: ٥)

ويلذ للقديس كيرلس أن يعود ويعبِّر عن هذا المبدأ بعبارات جديدة في جميع كتاباته:

[لقد وضع نفسه لكي يرفع إلى رفعته الخاصة ما هو وضيع بحسب الطبيعة، ولبس صورة العبد مع كونه بحسب الطبيعة هو الرب وهو الإبن، لكي يجعل الذي هو عبد بالطبيعة شريكاً في مجد التبني الذي يشبه مجده الخاص، فقد صار مثلنا أي إنساناً لكي يجعلنا مثله أي أبناءً، وهكذا أخذ لنفسه خاصة ما هو لنا وأعطانا عوضاً عنه ما هو له.](٣١)

---

(٢٨) تفسير يوحنا ١٧: ٢٠ و٢١. PG 74, 557-560.

(٢٩) تفسير يوحنا ٨: ٣٧. PG 73, 869 C.

(٣٠) تفسير يوحنا ١٢: ١. PG 74, 70.

(٣١) تفسير يوحنا ٢٠: ١٧. PG 74, 700 AB.

[فكإله هو الإبن الوحيد μονογενής ، غير أنه هو نفسه كإنسان من حيث الإتحاد التدبيري قد صار ابناً بكراً πρωτότοκος بين إخوة كثيرين أي بيننا نحن لنصير نحن فيه و بواسطته أبناء الله...] (٣٢)

[وهو الإله وابن الله من قبل الدهور يقول عنه الآب (في مز ٢ : ٧) أنه قد ولده اليوم وذلك لكي يقبلنا نحن فيه في التبني ، لأن البشرية كلها كانت في المسيح (منذ لحظة ميلاده) من حيث أنه صار إنساناً .] (٣٣)

إذن ، فيوم ميلاد المسيح في بيت لحم كان يوماً لميلاد البشرية كلها فيه ميلاداً سرياً من الله «لأن البشرية كلها كانت في المسيح من حيث أنه صار إنساناً» . وهذا المبدأ يوضّحه القديس كيرلس بأكثر تفصيل في الأقوال التالية :

+ ميلاد المسيح وميلاد الإنسان :

المسيح وُلد من الروح القدس لكي نولَد نحن أيضاً ميلاداً جديداً من الروح :

من المبادىء القوية عند القديس كيرلس أنه يعتبر ميلاد المسيح ميلاداً جديداً للجنس البشري كله بصفة عامة ، فهو يربط بين ميلاد المسيح بحسب الجسد من الروح القدس والعذراء «الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللكِ» و بين ميلادنا نحن الروحي من الله (بحسب إنجيل يوحنا ١ : ١٣ ؛ ٣ : ٥) . فالمسيح بصفته آدم الثاني لم يَصِرْ بداية لجنس بشري معتاد بل لجنس بشري مولود من الروح ، ولذلك تحتم أن يولد المسيح من الروح القدس ومن عذراء لم تعرف رجلاً ليصير أصلاً لهذه البشرية المولودة «لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل لكن من الله» بواسطة الروح (٣٤) . «لأن

---

(٣٢) في تجسد الإبن الوحيد. PG 75, 1229 B.
أنظر أيضاً تفسير لوقا ٢ : ٧ . PG 72, 485 CD.
(٣٣) تفسير يوحنا ٧ : ٣٩ . PG 73, 753 B.
(٣٤) تفسير إشعياء ٨ : ٣ . PG 70, 221 B.
العبادة بالروح والحق . PG 68, 1005 C.
عن الإيمان القويم إلى ثيئودوسيوس . PG 76, 1185.

المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح.» (يو ٣: ٦)

[إننا نقول إن الجسد الإلهي حُبل به من الروح في بطن العذراء بطريقة لا يُنطق بها... فبكر القديسين πρωτότοκος لم يكن محتاجاً إلى زرع بشر (ليولد به) لأنه هو نفسه كان باكورة ἀπαρχή الذين يولَدون من الله بالروح الذين قيل عنهم أنهم «وُلِدوا لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل لكن من الله.](٣٥)

فميلاد المسيح قد صار «باكورة» ἀπαρχή لميلاد البشرية كلها من الله بواسطة الروح القدس.

[فقد صار هو بصفته الأول πρῶτος مولوداً من الروح القدس... ذلك لنرتقي نحن أيضاً إلى ميلاد جديد روحي «لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل لكن من الله» بواسطة الروح.](٣٦)

فهذا الميلاد الروحي الذي لنا هو غاية ميلاد المسيح وهو غاية تجسده:
[فإنه لهذه الغاية قد صار مثلنا، لكي يحررنا ويجعلنا إخوة له... فالكلمة الذي من الله الآب قد صار معنا مولوداً بحسب الجسد لكي نستطيع نحن أيضاً أن نغتني بالولادة التي من الله بالروح القدس فلا نُدعى بعد أولاداً للجسد بل نتحول بالحري إلى ما هو فوق الطبيعة فنُدعى أولاداً لله بالنعمة، لأنه قد جعل نفسه كواحد منا ذاك الذي هو وحده بالطبيعة و بالحق ابن الله الوحيد.](٣٧)

فالكلمة صار معنا مولوداً بحسب الجسد لكي نصير نحن أيضاً بواسطته مولودين من الله

---

(٣٥) تفسير لوقا ٢: ٢٢. PG 72, 500 BC.
(٣٦) المسيح واحد. PG 75, 1272.
(٣٧) ضد نسطور ٣: ٢. PG 76, 125.

بالروح القدس.

وجدير بنا أن نلاحظ أهمية الروح القدس في الأقوال السابقة. فالروح القدس هو الذي كان له الدور الأساسي في توحيد اللاهوت بالناسوت في بطن العذراء، وهو أيضاً الذي يعود و يضطلع بمسئولية تكوين جسد المسيح السري وتصوُّر المسيح في أعضائنا:

[إن المسيح يتصور فينا هكذا: بأن يغيِّرنا الروح القدس تغييراً جذرياً من صفاتنا البشرية إلى صفات المسيح.](٣٨)

[حينما يحل و يسكن فينا كلمة الله بواسطة الروح، نرتقي إلى كرامة التبني، لأننا نقتني حينئذ في نفوسنا الإبن نفسه الذي إلى شكله أيضاً تغيَّرنا بواسطة شركة روحه الخاص.](٣٩)

+ نتائج حلول اللوغوس فينا،
و بعض التشبيهات التي يقدِّمها القديس كيرلس عن ذلك:

يظهر من القولين السابقين أن اللوغوس حينما يحل فينا فهو يغيِّرنا بالروح القدس «**تغييراً جذرياً من صفاتنا البشرية إلى صفاته هو**»، غير أن هذا التغيير الجذري لا يعني قط أننا نخرج عن طبيعتنا الخاصة أو أننا نتحول إلى طبيعة الله. لذلك يستطرد القديس كيرلس قائلاً:

[فمع أن الإبن لا يحوِّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص لأن هذا مستحيل، إلاَّ أنه يؤلف بنوع ما بين صفاته الإلهية الطبيعية و بين الذين صاروا شركاءه بمشاركة الروح القدس. فإن صورته الروحية وبهاء لاهوته غير المفحوص يضيئان في نفوس القديسين.](٤٠)

ولتوضيح هذا التآلف بين «صفاته الإلهية الطبيعية» و بين «الذين صاروا شركاءه

---

(٣٨) ضد نسطور ٣. PG 76, 124.
(٣٩) الكنز في الثالوث ٣٩. PG 75, 569 D.
(٤٠) ضد نسطور ٣. PG 76, 24-29.

بمشاركة الروح القدس» يلجأ القديس كيرلس إلى عدة تشبيهات مادية يبين بها كيف يمكن أن يكتسب شيء ما صفات مغايرة لطبيعته الخاصة بدون أن يتحول عن طبيعته الخاصة:

١ ـ مفعول اللوغوس فينا كمفعول النار في الحديد:

[من الخطأ أن نظن أن اتحادنا بالله لا يمكن أن يتجاوز مستوى توافق الإرادة معه. لأنه فوق هذا الإتحاد (اتحاد الإرادة) هناك اتحاد آخر أكثر سمواً وأكثر رفعة يتم بعطية اللاهوت للإنسان، فمع أن الإنسان يحتفظ بطبيعته الخاصة، إلاَّ أنه يتحول بنوع ما إلى شكل الله نفسه، بمثل ما إذا وُضع الحديد في النار فإنه يكتسب كل خاصية النار مع بقائه حديداً. فهو يبدو كما لو كان قد أصبح ناراً. فهذه هي طريقة الإتحاد بالله التي يطلبها الرب لتلاميذه الذين يقبلونه و يتحدون بجوهره الإلهي.](٤١)

٢ ـ مفعول اللوغوس فينا كمفعول النار في الماء:

[إن الماء بارد بطبعه ولكنه إذا سُكب في إناء وقُرِّب من النار فكأني به ينسى صفاته الخاصة و يكتسب صفات النار. وهكذا نحن أيضاً الفاسدين بحسب طبيعة جسدنا فإننا نترك ضعفاتنا حينما نمتزج بالحياة الحقيقية ونقبل صفات الحياة.](٤٢)

٣ ـ مفعول اللوغوس فينا كمثل شَظيَّة نار مخفية في كوم من القش:

[إن شظية مشتعلة مخفية في كوم من القش تحتفظ بأصل النار. وهكذا يُخفي سيدنا حياته فينا بجسده ويحفظها فينا كبذرة خلود.](٤٣)

---

(٤١) هذا القول وارد في كتاب «عقيدة القديس كيرلس السكندري وروحياته» (بالفرنسية) للأب العالم هـ. دي مانوار ص ٣٢٤.

(٤٢) تفسير يوحنا ٦: ٥٤. PG 73, 580 A.

(٤٣) تفسير يوحنا ٦: ٥٥. PG 73, 581 C.

ثالثاً: الكنيسة كامتداد لسر التجسد الإلهي
أي لسر المسيح

القديس كيرلس يقرر في عدة مواضع أن الكنيسة هي في جوهر كيانها تحقيق «لسر المسيح» (44) μυστήριον Χριστοῦ ، وقد رأينا في الأقوال السابقة أن «سر المسيح» هو أساساً في فكر القديس كيرلس سر الإتحاد الفائق الوصف الذي أقامه المسيح بين لاهوته وناسوته حتى جعلهما واحداً «بالكيفية التي هو وحده يعلمها».

[وهكذا كان اللاهوت يتآلف مع الناسوت.
وهذا هو السر الذي تم في المسيح.] (قول رقم ٥)

(أنظر أيضاً الأقوال ٩و ١٩ و ٢٩)

وعلى ذلك، تصير الكنيسة ـ بصفتها تحقيقاً «لسر المسيح» ـ امتداداً للوحدة الأقنومية الفائقة الوصف التي أقامها المسيح بين لاهوته وناسوته في عمق كيانه منذ لحظة الحبل به.

فالقديس كيرلس ينتقل بسهولة من حقيقة المسيح بصفته اللوغوس الساكن في الجسد إلى حقيقة الكنيسة التي هي جسده الإلهي حيث ينبع كيان الكنيسة بالذات من كيان جسد المسيح (+):

[كان يحملنا في ذاته من حيث أنه قد لبس طبيعتنا. ولذلك فإن جسد الكلمة يُدعى جسدنا نحن.] (45)

---

(٤٤) العبادة بالروح والحق ٢: ٦. PG 68, 237.
جلافير على سفر اللاويين. PG 69, 552.
(+) يقرر هذه الحقيقة العالم هـ. دي مانوار في كتابه المذكور في هامش رقم ٤١.
(٤٥) تفسير يوحنا ١٤: ٢٠. PG 74, 280 B.

[يسوع المسيح واحد هو. ومع ذلك فهو يُشبَّه بحزمة سنابل عديدة لأنه يضم ويحمل في ذاته جميع المؤمنين في اتحاد روحي.](٤٦)
[لذلك ـــ بسبب سر الأولوجية المحيية ـــ تُدعى الكنيسة جسد المسيح ونحن نُدعى أعضاءه بحسب تعليم القديس بولس.](٤٧)

وعلى ذلك فإن الكنيسة تُعتَبَر امتداداً للجسد الإلهي المترامي الأطراف الذي يملأ السماء والأرض، وسر الكنيسة يعتبر امتداداً لسر التجسد الإلهي الفائق الوصف أي لسر اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح.

وكما قام الروح القدس بالدور الأساسي في تكوين هذا الإتحاد الفائق الوصف في بطن العذراء فهو أيضاً الذي قام بالدور الأساسي في تكوين الكنيسة. فقد نفخه الرب بعد قيامته في وجوه تلاميذه ثم أفاضه عليهم بغنى في يوم الخمسين وحينئذ أصبح الجميع في هذا الملء الجديد مشاركين للطبيعة الإلهية(٤٨).

وهكذا تظهر الكنيسة أنها قائمة أساساً على مشاركة الطبيعة الإلهية بواسطة الروح القدس وبذلك تظهر في عمق كيانها أنها وحدة بين اللاهوت والناسوت بواسطة الروح القدس كامتداد للوحدة الأقنومية التي تمت في المسيح. أو بمعنى آخر يمكن أن يُقال أن جوهر الكنيسة قد تأسس لأول مرة حينما حل اللوغوس في بطن العذراء وبدأ يتخذ لنفسه منها جسداً.

ولذلك يخاطب القديس كيرلس السيدة العذراء قائلاً لها في عظته الشهيرة التي نطق

---

(٤٦) جلافير على سفر العدد. PG 69, 624, 625.
(٤٧) تفسير يوحنا ١٧ : ٢٠. PG 74, 557.
(٤٨) تفسير يوئيل ٢ : ٢٨. PG 71, 377-380.
وتفسير لوقا ٤ : ١ و٤. PG 72, 525, 537.
عن الإيمان القويم إلى الملكات ٣٤ و٣٥ و٥٠. PG 76, 1381, 1405.

بها في مجمع أفسس:

[بواسطتك قد تأسست الكنيسة!](٤٩)

فميلاد المسيح هو ميلاد سري لجوهر الكنيسة على قدر ما أن جسد المسيح هو حقيقة الكنيسة السرية.

إنتهى المقال



(٤٩) عظة ٤. PG 77, 992 C.

ميلاد المسيح
وميلاد الكنيسة(*)

□+□+□

لقد استُعلنت الكنيسة أول ما استُعلنت في تجسد الإبن لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو في الواقع أصل ومعنى وحقيقة الكنيسة (اجتماع الله مع الناس).

لذلك فظهور الله في جسد إنسان هو أول استعلان لطبيعة الكنيسة وتحقيق وجودها عملياً على الأرض.

الروح القدس كان واسطة هذا الإتحاد السري الذي تم بين اللاهوت والناسوت، فقد تسلّمنا من التقليد الشريف أن بطن العذراء حملت نار اللاهوت كما حملت العليقة نار الله وهي مشتعلة فيها دون أن تحترق «لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس.» (مت ١ : ٢٠)

فإذا نحن نظرنا إلى المسيح المولود من العذراء من وجهة اللاهوت الكنسي لتيقّنا أنه هو هو الكنيسة في معناها الإلهي المطلق، وما بقي علينا بعد ذلك إلاَّ أن نبحث كيف نتحد بهذه الكنيسة، أو كيف نصير نحن كنيسة!...

لم يحل الروح القدس (في يوم الخمسين) بهيئة حمامة في وسط مياه الأردن ليعطي قوة العماد بالماء والروح بل حل بألسنة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم... إذن فنحن أمام «عليقة مشتعلة بالنار» حسب الرمز، أو طبيعة إلهية متحدة بطبيعة بشرية حسب شرح الرمز أو صورة النبوة بميلاد المسيح من العذراء كما تسلّمنا من التقليد الشريف!!

(*) عن كتاب «الروح القدس الرب المحيي» للأب متى المسكين، الكتاب الأول، الطبعة الأولى ١٩٨١، ص ١٥٣ ــ ١٥٦.

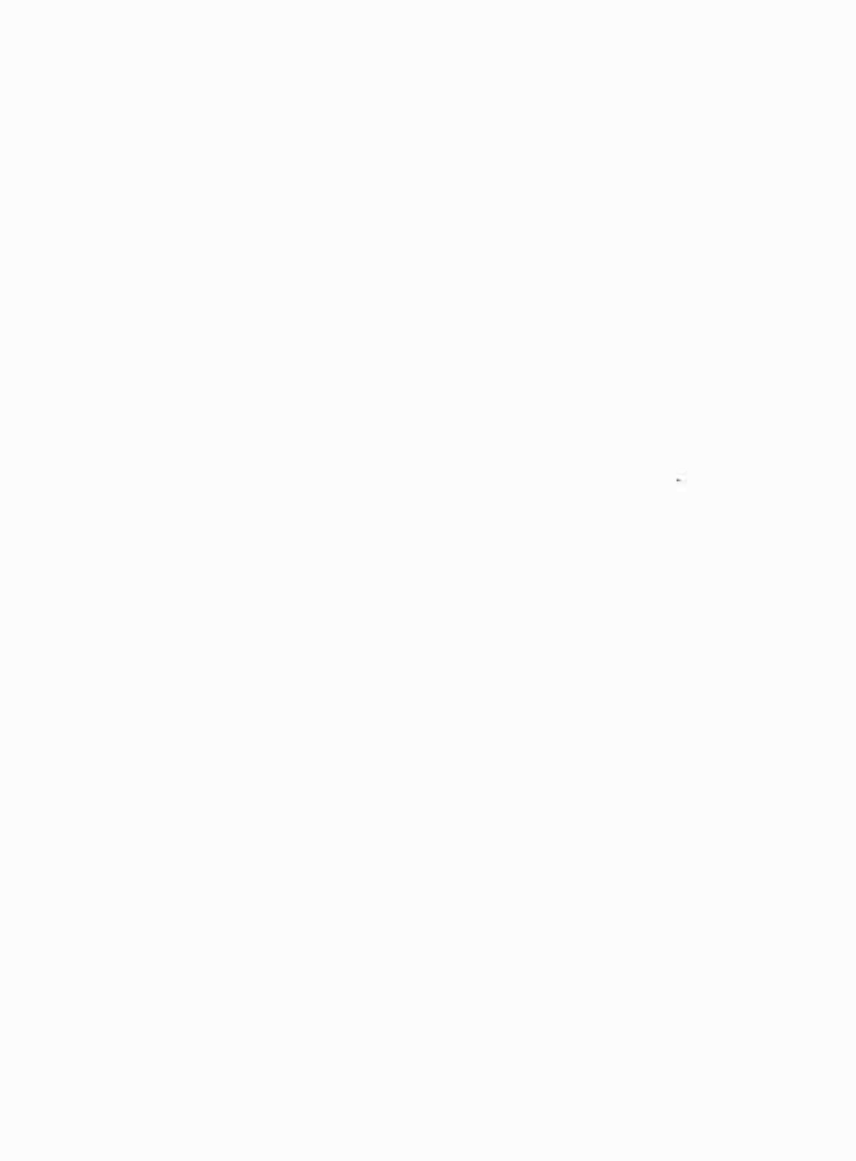
إذن حلول الروح القدس يوم الخمسين لا يشير إلى منح قوة روحية مجردة أو منح عطايا ومواهب جزافاً، بل الأمر جد خطير فهنا إشارة سرية إلى أنه حدث اتحاد غير منظور بين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية وماذا تكون الطبيعة الإلهية إلاَّ جسد المسيح السري بالذات الذي سبق المسيح وأشار إلى أخذه وأكله والإتحاد به والثبوت فيه! كان لا يمكن ولا يستطيع التلاميذ أن يتقبّلوا الطبيعة الإلهية بدون المسيح بل ولم يكن ممكناً أن يتقبّلوا الروح القدس كأقنوم إلاَّ على أساس الإتحاد بجسد المسيح، فالجسد الإلهي هو الطريق الوحيد الذي يوصلنا بالله و يوصل الله بنا «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده.» (عب١٠: ١٩و٢٠)

إذن غاية التجسد الإلهي قد بلغت ذروتها يوم الخمسين حينما صار الكل في المسيح «ملء الذي يملأ الكل.» (أف١: ٢٣)

فالجسد الإلهي المعبَّر عنه بـ «ملء اللاهوت جسدياً» صرنا منذ يوم الخمسين «مملوئين فيه».

لقد اتّحد المسيح بالكنيسة فاكتسبت الكنيسة كل ما للمسيح... لقد صار وكمل في العلية ما بدىء به في بيت لحم.

لقد وُلد المسيح في بيت لحم لتولد الكنيسة في العلية...



يُطلب من:
دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ «أ» شارع شبرا ــ شقة ٤
ت ٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٣٤٤ طريق الجيش ــ جليم

وكافة المكتبات المسيحية



هكذا فليكن معلوماً لنا أن الله وهب لنا بواسطة المسيح كل المواهب وكل الصفات لكي نكون مثل المسيح في كل شيء، ولنراه كما هو تماماً كما شاء أن يكون لنا، لنستطيع أن نكون وارثين معه في كل ما لله أبيه. وبالتالي أن نراه كما هو ونكون معه في مجده ونرى به الآب أيضاً.

لقد سلَّم لنا المسيح كل هذا الرجاء بكل وضوح وثقة في الإنجيل، لنجاهد حتى تشتعل صورته فينا التي وهبها لنا بعمل الروح القدس، بل وقد أضاف الله أن وهب إنساننا الجديد هذا أن يتجدَّد للمعرفة كل يوم، بل كل لحظة، ليكون حسب صورة خالقه!! (كو٣: ١٠).

هذه هي عطية ومحبة الآب لنا في معجزة المسيح العظمى في بيت لحم.

هذا هو سر مشاركة ابن الله لإنسانيتنا، وهذا هو تفسير عمانوئيل الله معنا.

الثمن ٤٠ قرشاً